كتاب مجلة " كلمة حق " (٢٠)
هدية العدد (٣١) من مجلة " كلمة حق" فبراير - ٢٠٢٠



ثورة أحمد ياسين

ملخص لقاءات الشيخ أحمد ياسين في برنامج شاهد على العصر

هذه السلسلة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

لو أفنى الإنسان عمره في قراءة ما تكتبه الأقلام لم يبلغ أن ينهي منها إلا قدراً ضئيلاً، فالعقول لا تتوقف عن الإنتاج والمطابع لا تتوقف عن الهدير، وفي عصرنا هذا كاد الناس كلهم أن يكونوا أصحاب أقلام ولهم كتابات، فما عليك إلا أن يكون لك حساب على موقع تواصل اجتماعي فيكون قد صار لك منبر عام تكتب فيه.

ومن بين الكثير من الغثِّ قليلٌ من السمين، فأودية العقول كثيرة ونتاج الفلاسفة كغابة ضخمة متشابكة.. فالعلم النافع بالنسبة لبحور الأفكار كالدرر واليواقيت في أعماق البحار.

والعلم الذي تحتاجه أمة مهزومة مستضعفة تريد أن تنهض ليس كالعلم الذي تحتاجه الأمم في حال رفاهيتها ورخائها.. فإن أمتنا أحوج إلى فهم الدين الصافي الواضح كما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهي بحاجة إلى فهم الواقع المعاصر لتُحسِن إصلاحه بما لديها من الدين، وتحتاج إلى علوم النهوض وبناء الأمم أكثر من حاجتها إلى علوم الترف والزينة والزخارف. وفي طليعة علوم النهوض: فهم الدين والسياسة والتاريخ والعلوم الأمنية والعسكرية.. فالمكتوب في هذه الأبواب أولى بالعناية والاطلاع والدراسة من غيره.

وقد أنعم الله علينا في "مجلة كلمة حق" بفكرة أن نقدم مع كل عدد كتاباً كهدية، ونحن بين أن نستخرجه من كتاب مهم، أو أن يكون تلخيصاً لكتاب مهم، أو أن يكون ترجمة لتقرير مهم.. وهكذا، نختاره بحسب ما نقدِّر أهمية الاطلاع عليه.

ونرجو أن يعيننا القراء الكرام بترشيحاتهم ومجهوداتهم، فالباب مفتوح لكل مجهود..

نسأل الله أن يكون علما نافعا وعملا صالحا خالصا لوجهه الكريم

مجلة
كلمة حق

الحلقة (١)

التعريف:

ولدتُ في قرية «جورة عسقلان» عام **١٩٣٦** في الصيف بشهر يونيو وكان هذا هو «عام الإضراب»، ورأت والدتي في منامها حين حملت بي هاتفاً يقول (أنت حملت، فإذا وضعتِه فأسميه أحمد). واحتفظت بهذا الهاجس حتى وضعتني، وحينها ثارت عليها ضرائرها وسلفاتها ورفضوا الاسم لأنه كان في أسرتنا رجل اسمه أحمد كان شديد البطش وكان مكروهاً، لكنها أصرت على ما قاله الهاتف وأسمتني أحمد.

نمَوت في أسرة طيبة هادئة، وأهل البلدة كلهم أهل زراعة وبحرية، وكانت الوالدة إنسانة مؤمنة وطيبة، ولا أذكر الوالد جيداً لأنه مات قبل أن يكون لديَّ الوعي الكافي.

النكبة:

دخلت المدرسة ومضيت حتى أنهيت الصف الرابع الابتدائي في مدرسة الجورة، ثم لما كنت في بداية الصف الخامس بدأت «النكبة» وتعرضت الجورة لهجمات الطائرات الإسرائيلية -وكانت على أرض عسقلان التاريخية- ورحلنا إلى «غزة». وكان الجيش الإسرائيلي قد قطع الطريق على الجيش المصري عند «دير سنيد» -بيت حانون- وجعل الجيش المصري ينقل كل مؤنته عبر الجورة من السفن في البحر إلى الشاطئ بمراكب الجورة، وصارت القرية مركز تمويل وتنقل.

ومما رأيت أن باخرة مصرية كانت تنزل وقوداً وإمدادات وتأخذ الجنود معها، فجاءت ثلاث بواخر إسرائيلية تحاصرها، فأوقف القائد الإنزال وأسقط براميل البترول

[١] قناة: الجزيرة، برنامج: شاهد على العصر، المحاوِر: أ. أحمد منصور.

إلى البحر ومضى القائد يضرب السفن الثلاث حتى انسحبت وفتح خط انسحابه ومضى، وكنت أشاهد المعركة من فوق جبل عسقلان ومعي عنزة صغيرة أرعاها. ورأيته يلف لفًّا دائراً بحيث يتحاشى قصف الطائرات الإسرائيلية. وكان شيئاً لطيفاً أن تشاهد معركة بحرية وجوية.

كلنا كنا في تعبئة وحب لإخواننا في الجيش المصري الذي كان يدفع الدماء في ذلك الوقت، لكن بدأ الجيش المصري ينسحب إلى غزة رغم قدراته الجوية! وكان يدك المستعمرات ويستولي عليها! وخرجنا من الجورة تحت التهديد.

لماذا لم ندافع عن أنفسنا؟

وكانت الجيوش العربية قد سحبت الأسلحة من الناس، وهذا أفقدنا القدرة على الاعتماد على أنفسنا كما كان قبل تدخل الجيوش العربية، وكانت مشكلتنا أن الشعب يُهاجَم في الجنوب وتصير مذابح، وهذا يخيف الناس ويدفعهم للانسحاب من الخوف، حتى تم لإسرائيل الاستيلاء على المنطقة بشكل لم يكن ليحدث لو كنا نملك سلاحنا! لكن الحمد لله هذا الذي قدره ربنا. ولو اعتمدت الأمة العربية جانب تسليح الشعب الفلسطيني كان الوضع تغير لأننا كنا نهزمهم قبل ذلك.

أنا حزين أن الأمة العربية وضعت معادلة غير طبيعية في ذلك الوقت! 7 جيوش تهجم على دولة تعلن نفسها كقوة صغيرة! فتحصل على المساعدات بدعوى أنها دولة صغيرة! وتحصل على الفيتو دومًا لوقف القتال إذا كان الخطر على إسرائيل! لكن إذا كانت إسرائيل متقدمة لا تجد قراراً بوقف القتال! ولو كنا نحن الذين نقاتل لم نكن لنقف عند قرارات مجلس الأمن ولا غيره!

بسالة الإخوان وحدوث الخيانة

إخواننا في الجيش المصري بذلوا كثيرًا، لكن لولا خيانة القصر والأسلحة الفاسدة لكان لهم يد في المعركة، وكان في جانب الجيش مقاتلون متبرعون من الإخوان المسلمين في فلسطين، وكانت تبة شرق غزة قد فقدها الجيش المصري فلم يستطع أن يستعيدها غير الإخوان، وكان الشيخ «محمد فرغلي» قد استولى على مستعمرة «كفار داروم» في وضح النهار، لكن الجيش المصري انسحب وتركها وترك غيرها! وقال «كامل الشريف» لقائد الجيش إنه مستعد أن يفتح الطريق فوافقه فاتجه إلى بيت حانون ودير سنيد ليفتح الطريق فوجد الانسحاب مستمراً، وسأل قائد الجيش فقال (هذه هي الأوامر)! وكان القائد هو «جلوب» البريطاني! لم تكن المعادلة صحيحة في معركتنا مع اليهود، وخسرناها.

مرارات

عايشت الجيش المصري في غزة وأنا طفل، وكان الفقر شديداً، فكنا نذهب إلى الجيش لنأخذ قطعة خبز أو طبيخ فائضة عن الجنود، وعشنا هذه المرحلة بمراراتها.

كنا انتقلنا من القرية إلى «عسقلان» ثم إلى «الكروم» في جنوب الجورة، ثم منه إلى غزة، وسكنا في الغابة «الفرفيرة» ثم سكنا في «أبو مدين» بظروف صعبة وقاسية في خُصّ من قش رغم الشتاء والبرد إلا أن الله بفضله حمانا. وكان الارتحال جماعياً، كل الناس ارتحلت من الجورة عن طريق البحر، ثم سكنا في وادي غزة **٤٨–٥٠** وفكرت أعود إلى المدرسة، وكان أخي الكبير هو الذي يرعى الأسرة ومعه أخي الثاني وكانوا يعملون في البحر، وكان الصيد ممنوعاً في البحر بسبب المعركة، وكنا ندخل إلى الشاطئ خُفية لنلقي الغزل ونصيد كمية صغيرة من السمك ونعيش من ورائها. كان لي أخوان من الوالدة وأخت واحدة، ولي أخوان من أم أخرى، ولي أخت أخرى من أم أخرى.

لم أكن أشارك في صيد السمك لوجودي بالمدرسة، لكن كنت أصيد الطيور والعصافير بالفخاخ اللاصقة، وتركت المدرسة وبدأت أعمل في مطعم فوَّال على

الميناء وكانت فترة طيبة حتى أواخر **٤٩-٥٠**، ثم عدت إلى المدرسة للمرة الثانية، ولقيت كل أبناء الحارة في الصف الرابع ووجدت كل الجيران في الصف الرابع فذهبت معهم إلى الرابع! وأمضيت الصف الخامس أيضًا.

الدراسة رغم الإصابة

وفي صيف **٥٢** كنت ألعب بالبحر وكنت أتقلب على الأرض، فصار عندي التواء في الرقبة وصار كسر، فسقطت دون إمكانية الحركة **١٩٥٢/٧/١٥** ونقلت إلى البيت ثم إلى المستشفى، وقاموا بتجبيس العنق 54 يوماً، وبدأت الحركة والوقوف مشياً ضعيفاً، وخرجت من المستشفى وبدأت أعود إلى المدرسة ضعيفاً لا أستطيع مسك القلم وأقع في الطريق لو من حصوة!

ووصلت إلى المدرسة الثانوية الإمام الشافعي ثم الرمال (الكرمل) ثم فلسطين الثانوية، ثم كان خيار الجامعة أو الشغل، وكنت مقبولاً في القاهرة لكن لم تكن إمكانات مادية فاخترت الوظيفة، وعملوا مسابقة لـ**١٥٠٠** طالب ليعملوا مدرسين فنجحت وكنت من المتعينين، لكن رفض المستشار «محمود الشاب» وقال لا أصلح أن أكون مدرساً! فقلت أكون كاتباً فقال لا لو تريد انتظر مسابقة كتبة! فقلت له كما تريد!

الوظيفة

وكانت الحياة كلها تحت وظائف الإدارة المصرية ومساعدات مصر، ولما فكرت أخرج إلى مصر أرسل لي «الشاب» وقال خلاص أنت عُينتَ، وكانت سنة **١٩٥٨**، فقلت (شكراً) قال (إذا أردت الشكر اشكر الحاكم لأنني لم أكن أريد تعيينك لمرضك، فأمر الحاكم بتعيينك وقال كيف درس؟ كيف نجح؟ إذن ينبغي تعيينه!). واستلطفت جرأة الحاكم لأنه كان لا يريد ترك أي أحد في النجع بلا عمل. وبدأت عملي في **١٩٥٨/١٠/٤** وكنت حديث التخرج في شهر يونيو.

الحلقة (٢)

عدوان ١٩٥٦

كان الاحتلال يجد مقاومةً في الأرض المحتلة من كل الاتجاهات، بما فيها الحركة الإسلامية في قطاع غزة، وعلمنا أن من شروط انتهاء العدوان أن يصبح القطاع تحت إشراف دولي، وخرجت مظاهرات كبيرة نجحت في إعادة القطاع للإشراف المصري.

لم نكن نرى الحرب ذاتها لكن كنا نرى الاحتلال قد دخل القطاع وبدأ الاستيلاء عليه، وبدأ قتل المجندين الفلسطينيين في الكتيبة الفلسطينية بجيش التحرير الفلسطيني. رفضنا الاحتلال للقطاع ورفضنا التدويل.

وكان لهذه الحرب ما بعدها، فهي أعطت دفعة قوية لمصر وتمكيناً لها في أرضها وقناتها، وخرجت إسرائيل وفرنسا وبريطانيا مهزومة، وانسحبت دون أن تحقق أهدافها. وكان الضغط الدولي والمقاومة الشعبية هما مفتاح انسحاب قوات العدوان. لكن الحرب فتحت شهية إسرائيل للتوسع في مرات قادمة، واستندت حرب **١٩٦٧** إلى استراتيجية **٦٥٩١** وعرفت منافذ الدخول والخروج من سيناء.

زيارة ثالثة إلى مصر

تخرج زملائي الذين درَّستهم في المدرسة وسافروا ودرسوا في الجامعات، فأحسست بالنقص وقررت استكمال الدراسة، وقدمت توجيهي في سنة **١٩٦٤**، وذهبت إلى مصر والتحقت بجامعة عين شمس قسم اللغة الانجليزية انتساب، وعدت أعمل في غزة وكنت أذهب إلى مصر للامتحان، لكن ظروف اعتقالات الإخوان والشهيد سيد قطب في **١٩٦٥** حالت دون عودتي إلى مصر. وكانت مصر تضع علامات استفهام على أي أحد له نشاط ديني.

أول اعتقال

أحببت حركة الإخوان وما كتبه الإمام «حسن البنا» في رسائله، وكنت أخطب، واعتُقلت في غزة **١٩٦٥/١٢/١٨** لمدة شهر ثم أفرج عني بعد ذلك. لم تكن لي علاقة بقيادات إخوانية. وكانت تهمتي الإخلال بالأمن فضحكت! ولم تثبت أي تهمة. وكان سجن غزة المركزي تحت القيادة المصرية لكن مسؤول المخابرات كان فلسطينياً. وسُجنت انفرادياً رغم أني لا أستطيع تغطية نفسي أو أفرش فراشي ولم يكن أحد يساعدني. لكن لم يكن في التحقيق إيذاء. واستمررت في نشاطي، خرجت يوم الخميس ثم خطبت الجمعة في المسجد. ولم يؤثر ذلك على وظيفتي الحكومية.

إخوان غزة لا يتصلون بإخوان مصر

ولم يكن لنا في غزة أي علاقة بإخوان مصر رغم أن كل دراستنا في غزة إخوانية، ولا أذكر في حياتي أن رأيت أي قيادة من الإخوان في مصر، ولما رأيت أحدهم كان صدفة في مكتبة وهبة وكان الأستاذ «محمد قطب» سنة **١٩٦٥**، وإلى اليوم لم أر أي قيادات من الإخوان! وفي زياراتي لمصر لم يتحقق لي حتى زيارة المرشد.

حماس خرجت من رحم الإخوان وهو فكرنا ونشاطنا، لكن لم توجد علاقات مع إخوان مصر، ونحن نتصرف حسب واقعنا الفلسطيني ولا نتدخل في الشؤون العربية، وهذا من فضل الله علينا مستقين في سلوكنا وقراراتنا ما يخدم قضيتنا وشعبنا ووطنا.

وكنا غائبين عن الدراسة وكان الشباب في مصر يجهزون لنا الكشاكيل ونحن نحمل لهم الهدايا، وفي **١٩٦٧** تقدمت للسفر كي أكمل دراستي قبل العدوان وفوجئت برفض طلبي السفر إلى مصر وقطع معاشي رغم أني كنت في إجازة، لا سافرت ولا أخذت المعاش [باسماً]. وصارت الهزيمة والنكبة وراح المعاش [باسماً].

تغييب الوعي الأممي

أذكر أن طلاب الجامعة في مصر لم يكونوا يعرفون غزة ولا مكانها ولا أوضاعها! حتى جاءني أحدهم يظن أننا إلى جانب أمريكا رغم أن غزة كانت تحت الإدارة المصرية!

وكان أحد الأساتذة يصنع كتاب جغرافيا للتوجيهي -وكنت أدرّس الجغرافيا- وكان يحدد حدود مصر ولا يحسب فيها قطاع غزّة! وكتاب التاريخ يعرِّف بلاد الشام يقول فيها: سوريا وفلسطين ولبنان وإسرائيل [ضاحكاً]! وكان هذا في **١٩٥٨**!

كنت أنزل في فندق العتبة وأطلع الجامعة بـ(الترماي) أو أمشي نصف الطريق لأتنشط أو آخذ تاكسي، وكان جواً طيباً وإخواننا المصريون من ألطف الناس في التعامل. وكان في (التروللي) من يدفع لي إذا تأخرت في استخراج الفلوس من جيبي دون أن يعرفني.

قضيتي ليست أن أعرف إخوان مصر أو يعرفوني، أنا مسلم أريد الإسلام.. مرة جمعنا لقاء بأحد الإخوة الفلسطينيين في مصر وكان في اللقاء اثنان من الإخوة المصريين خارجين من السجن فسألتهم (دخلتم السجن وطلعتم، إيش نظرة الشعب المصري لكم؟) فرد (أوه يا عم اللي يزمر يغطي دقنه!) ولا زلت أذكر هذا التعبير.

إرهاصات النكبة ١٩٦٧

كان للنكبة مقدمات حدثت دون إجراءات صحيحة، وقرار عبد الناصر بسحب القوات الدولية بينه وبين الإسرائيليين معناه إعلان الحرب، لكن مصر لم تكن مستعدة لحرب، وكنا نقابل من المصريين الجنود القادمين إلى غزة ولم يكونوا يعرفون إلى أين هم ذاهبون! ولا يعرفون مكان اليهود ولا الحدود ولا شيء! لم أكن عسكرياً لكن كنت أقول (دعوا الله ألا تُضرب مصر في طيرانها!) فكان الشباب يردون (يعني هي الطيارات

المصرية حظائر دجاج!)، لكن فعلاً حصل وسيطرت إسرائيل على الجو ولم يكن الجيش المصري في سيناء مؤهلًا للقتال. والدليل أن عبدالناصر في **١٩٦٥** كان يخطب في المجلس التشريعي الفلسطيني في مصر وقال: (الذي يقول لكم عنده مخطط لتحرير فلسطين يكذب عليكم، ولو قلت لكم عندي مخطط أكون أكذب عليكم). وكان رداً على تصريح الملك حسين أن لديه مخططاً لتحرير فلسطين. وفي **٦** أيام انتهت كل الإمكانات التي دخلت سيناء! وكنت تجد مقاتلين اثنين متحصنين في بيت يهاجمهم اليهود بالطائرات والدبابات ولا يسلموا! فما معقول كل هذه الإمكانات وتُباد!

وقبل ذلك كانت غزة معبر تجارة إلى مصر مثل سوق حرَّة، الورود والصيني وغيره من لبنان، وكان الضباط المصريون يتاجرون وكذلك الفلسطينيون، كان الوضع جيداً للتجار فقط، أما الناس فلا عمل، عمل الفلسطيني في الخارج فقط. وكان بعض الشباب (حوالي **١٥٠٠**) تظاهروا وشغّلتهم مصر نظير **١٢** جنيهاً في الشهر.

يوم ٥ يونيو في غزة

كنا نستمع إذاعتين، إسرائيل والقاهرة لنفهم! وكانت القاهرة تعلن الاجتياح وكذلك إسرائيل! لكن الإسرائيليين يوزعون منشورات التسليم! فكنا نقول هذه حرب نفسية! لكن بدأ هجوم الطائرات الإسرائيلية على المدفعية المضادة للطائرات المصرية ودمرتها تدميرًا أمام أعيننا، **٤** طائرات على موقع: واحدة تضرب وثلاثة تناور حتى لا يستطيع فعل شيء، وبدأت الشائعات عن المذابح في جباليا وغيرها! وسقط الناس أسرى الحزن والبكاء! وكان يوم مأساة! وكان الشعب كله مخنوقاً، والذي ضاعف الشعور أكاذيب الإذاعة المصرية ودعاية «أحمد سعيد»! فكانت مفاجأة قاصمة للشعب الفلسطيني. (وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ). وكنت واحدًا من الناس!

لم يصلنا الإسرائيليون في اليوم الأول، هم يمشون خطوة خطوة، دخلوا مركز

القطاع واستقرُّوا وصاروا يعملوا دوريات تتوسع، لكن بعد **٣-٤** أيام رأينا سياراتهم العسكرية في معسكر الشاطئ، وكانت في مقاومة وصدامات لكن لم تكن على مستوى الذي نأمله، والسلطة المصرية وزعت بنادق على الناس قبل الهجوم الإسرائيلي، حامل البندقية فقد الأمل لما وجد الدبابة، لم تكن الروح المعنوية هي تلك التي كانت بعد ذلك في الانتفاضة.

حكم إسرائيل وحراك ومقاومة

كان وضع الحركة الإسلامية ضعيفاً بسبب الضغط والهجوم المصري والاعتقالات والإعدامات، كنا نُحارَب على الكتاب الإسلامي فكيف نمتلك سلاحًا؟! كانت هناك مقاومة لكن ينقصهم السلاح. واستمر الصراع والمقاومة حتى **٧٢-٧٣**. وفي سنة **١٩٧٠** كانوا محاصرين معسكر الشاطئ فقلت لنفسي لم لا أكون مقاتلاً أنا الآخر؟ وكان مركز الشرطة الإسرائيلي جوار الجامع! فهاجت الناس بعد الخطبة وقالوا (نريد عمل شيء) فقلت نعمل مظاهرة وخرجت إلى الصليب الأحمر وبعدها فكوا الطوق عن المحاصرين في المخيم.

وكانوا أول ما وصلوا المخيم جمعوا الرجال في الساحة وبدأ اليهود يجمعون السلاح، وقالوا (البيت الذي فيه سلاح سنهدمه) وفعلا هدموا بيتين. حرب نفسية! فقام الناس خوفاً وسلّموا السلاح، وكنت سأنفجر من الذي جرى وضحكهم على الناس! اليهود يتعاملون مع الشعوب بحرب نفسية لكن الواعي لا يمكن أن يستسلم لهم.

وكان أحد تلاميذي مطاردًا فكنت أقول له (أنت مطارد لم لا تعمل كل يوم عملية!) فقال (ليس معي إلا هذه القنبلة!) وفعلاً حاصروه في مستشفى «الشفا» فألقاها عليهم فأطلقوا عليه النار ومنعوا الإسعاف حتى استشهد نزفًا.

وتوغل اليهود خطوة خطوة وسيطروا على البلد والتعليم، ثم جعلوا لكل

منطقة ضابط مخابرات، وصار يسجل، وأي أحد يطلب طلباً من سفر أو عمل يساومونه حتى يشتغل معهم، وكان كثير من الناس يسقطون في هذه الجوانب لكن بقية الشعب صامد. في كل شعب هناك ضعفاء يسقطون عملاء لليهود.

اليهود يتعاملون مع الشعب -أي شعب- فرادى لتسهل السيطرة، لكننا فرضنا التعامل معهم بشكل جماعي خاصة في السجون، لكن في الشارع العام كان صعباً أن تجمع الناس في بوتقة واحدة.

وشيئاً فشيئاً أفاق الناس، ومن الناس من رفض العودة للعمل، لكن لو كان عندنا تنظيم حينها كنا كلنا قاطعنا العمل وأفشلنا الاحتلال، وهذا الذي أعطانا الدفعة في **١٩٨٧**، وبدأنا نكتل أنفسنا ونعمل قيادات تحت الأرض واستعددنا لمواجهته.

موازنة

كنت مدرساً فجلست في بيتي حتى بعد بدء التعليم. رفضت خدمة اليهود لكن شاركت من أجل تعليم أبناء شعبنا لكن مع توعية الشعب بجرعات قوية. وكان اليهود يدفعون الرواتب ويريدون عودة الحياة من جديد ليظهروا للعالم نجاحهم في إدارة البلد. والمصلحة اقتضت تعليم الأولاد، وكنت لازلت من الإخوة القلائل الذين بقوا في القطاع بعد ترحيل إخوة كثيرين إلى الخارج إلى مصر والأردن ولبنان. كي يقطعوا الطريق على تكوين وعي يصنع مقاومة قوية في يوم من الأيام. وبدأت نشاطي أيضاً في المسجد: الإسلام والعلوم الدنيوية، وبدأنا نجمع تبرعات لبيوت من هُجّروا، وحملنا المساعدات للأسر التي ليس لها عائل، فكان دورنا دعم الشعب الفلسطيني في صموده. وكان هذا قد انطلق مباشرة بعد **١٩٦٧**. فكنا نأخذ من الناس بشكل رمزي ونقدم للمحتاج ما يسد الرمق. وكان الجهد فردياً ولم يكن هناك جمعيات، فقط عن طريق المعارف في كل منطقة.

الحلقة (٣)

الكفاح المسلَّح

لم يتوقف الكفاح المسلح لكن كان يتغير من مرحلة إلى أخرى، فأولاً المتطوعون المصريون بقيادة الشهيد «أحمد عبد العزيز» في **٤٨**، ثم انطلاقة حركة فتح.

لماذا لم أنضم لفتح؟

وقد عُرض علي الانضمام لها ورفضت لسبب أنني كنت أرى الوطن العربي ليس في حالة قوة، وأن العمل من داخل البلاد العربية سيفتح لإسرائيل الباب لتحتل بلدان الوطن العربي وسنخسر قضيتنا ونخسر أرضًا جديدة لصالح إسرائيل. حين بدأت (فتح) بتفجير باص إسرائيلي شرق دير البلح **١٩٦٥** هددت إسرائيل وزمجرت! فمصر اعتقلت من نفذوا العمل وسجنتهم! وقال الناس إن الإخوان يريدون أن يحكموا البلد، وكانت قيادات فتح كلها من الإخوان: «خليل الوزير» «يوسف النجار» «سليم الزعنون» «رياض الزعنون» «صلاح خلف»! لكن الإخوان كانوا نائمين في ذلك الوقت [باسماً].

وتوالت الضربات على المنظمة، ومصر رحَّلت من أراد العمل إلى العراق، ولبنان شهد المعارك، ولم يكن العمل ضد إسرائيل ممكناً في نظري إلَّا من داخل الأرض، لا من الخارج.

ظروف البداية

وفي **١٩٦٧** كانت الحركة الإسلامية في وضع لا تُحسد إليه بسبب حرب عبد الناصر الشرسة على الإخوان في مصر والتي ألقت ظلالها على غزة.. فكنت لو صليتُ الجمعة في مسجد يهرب منه الشباب! حتى لا يسجل أنه إخوان ويمنع من السفر للدراسة والعمل.

لذلك بدأنا عملية تجميع وترتيب صفوف ودعوة من جديد في البلد، ودعوتُ **١٠** من إخواني في القطاع وجلسنا واتفقنا لنبدأ لكن لم يكن الجميع مستعداً للمشاركة.. وبدأنا نشاطاتنا في المساجد والمكتبات والخطب والدروس والكتب والنشرات. وكان من يحمل كتاباً لسيد قطب مجرمًا في نظرة المجتمع. وكانت دعاية النظام الناصري أننا نخبئ المسدسات في المصاحف ونريد قتل أم كلثوم وعبد الوهاب وفريد وتفجير المجاري في القاهرة!

وأخذنا قراراً أن من أراد الانخراط في قوى التحرير الشعبية ينخرط! وكانت فتح والتحرير الشعبية والجبهة الشعبية. وكانت صدامات كثيرة في القطاع وضحايا كثير وشهداء كثير. وكانت إسرائيل لتسهيل حركة الجيش تهدم شوارع بكاملها وتهجر الناس إلى العريش وغيرها، وبدأت المخابرات تحكم قبضتها على البلد حتى كادت المقاومة أن تتوقف في **٧٢-٧٣**.

وكان الشباب يعملون على المكشوف ويمسكون السلاح في الشوارع، فسُجن منهم الكثير وإسرائيل زرعت العملاء يرصدون. فخمدت المقاومة بشكل كبير جدًّا ولم نكن شاركنا حتى ذلك الوقت، ولم يكن عندنا إمكانات للسلاح والإعداد ولم يكن هناك تنظيم. والـ**١٠** الذين جمعتهم صاروا **٢-٣** فقط!

وبدأنا نشاطاتنا وكونّا التنظيم الداخلي والأُسَر، فبدأنا إعداد وشراء السلاح **٨٢-٨٣**، وكان الشباب يدرسون القرآن والسنة والحديث والفكر الإسلامي من الكتب المطروحة. ولنا قضيتان: قضية الوطن، وقضية إقامة دين الله في الأرض، ولا يمكن إقامة الدين في الأرض إلا إذا حررنا الأرض من المستعمر.

وكان الإخوان مكروهين والناس تحب عبد الناصر. حتى بعد هزيمة **١٩٦٧** لم يصدق الناس مسؤوليته ونسبوها لنوابه ورجاله! وعندما مات خرجت مظاهرات تهتف (الله حي وناصر حي!) وكانت الدعاية تغرس القومية العربية وتهاجم الإسلام. وكنتُ

خطيباً في مسجد «العباس» وظنوا أني أؤبن عبد الناصر! فقلت عكس ما يريدون! وهناك خطباء هاجموا عبد الناصر فضربهم الناس!

«الجمعية الإسلامية»

وأسسنا تجمعات للشباب، فأسسنا جمعية إسلامية في الشاطئ للنشاط الرياضي ورحلات وندوات دينية سنة **١٩٧٦**، «الجمعية الإسلامية» ومقرها غرفة في المسجد «المسجد الشمالي»، وكان الإقبال جيدًا وبدأ الناس يستيقظون وأصبحت قضية الإخوان غير مطروحة.. فقط في رواسب الجيل القديم، بينما الجيل الجديد نفض هذه الأفكار، وكنتُ قد طبعت الجزء الثلاثين لسيد قطب رحمه الله أيام مسجد العباس ووزعته على الناس مجاناً فملأ المكتبات والشوارع، فصارت النظرة لسيد وغيره طبيعية وزال الحاجز النفسي.

وكان الطبع أولًا على حساب أحد أهل الخير. وجزأت الجزء الثلاثين على خمسة أجزاء حتى لا ينفر الناس، وجاءنا آخر يطبع على حسابه، وهكذا.

أحداث الأردن

كان يأتينا شباب من عندنا ومن (فتح) يناقشونني في قضية الوجود الفلسطيني في الأردن، فقلت لهم (سنخسر وجودنا في الأردن) فلم يصدقوني، لكني كنت رأيت نفور الشعب الأردني بسبب تصرفات غير صحيحة من شباب (فتح). وهذا دفع الملك لضرب المخيمات الفلسطينية. ولهذا رفضتُ من قبل الدخول في (فتح) حتى لا أدخل في صراع مع الأنظمة العربية فأقع بين إسرائيل والأنظمة العربية. وكان طبيعياً تصفية الأردن لـ(فتح) ومواجهات نهر البارد مع سوريا في لبنان. وبعض المقاتلين لما ضُربوا في الأردن فروا على إسرائيل وهذه كانت طامة!

وما حدث في الأردن وسوريا أحمل الفلسطينيين جزءاً من مسؤوليته والحكومات جزءًا آخر، كما نحن الآن ينبغي أن نتجاوز الخلاف الداخلي الفلسطيني حتى لا نختلف نحن ويقف العدو يتفرج علينا.

«المجمع الإسلامي»

ولم نحصل على أي دعم من أي جهة خارجية. وكان الاحتلال يريد مد خطوط يثبت بها أنه يدير البلد، ولم يكن لدينا إمكانية دخول الصراع؛ ففتحنا باب تثبيت أنفسنا وهذا ما دعانا لتأسيس مؤسسات إسلامية، فأسسنا «المجمع الإسلامي» مع الجمعية لكنه لم يأخذ موافقة إلا في عام **١٩٧٩**، وكانت البداية تأسيس مسجد في منطقة «جورة الشمس»، وكان معهم الشيخ «سليم شرَّاب» وصار يجمع لهم التبرعات من القدس وغيرها، ووسع الفكرة من مسجد إلى مجمع إسلامي وخدمات وأنشطة كرياض الأطفال، ولم يكن العمل حينها بتصاريح، وجاءني الإخوة لأن الشيخ كان ديكتاتورياً فدخلت معهم وأرادوا انتخاب رئيس جديد، فانتخبوني رئيساً للجنة!

شعرت أنها ضربة للشيخ وأنه لن يقبلها فلم يهممهم! فبدأ الشيخ يشتغل بالعكس! وكنت أود الشغل يكون قانونياً حتى لا يغلقوه! وقدمت الأوراق للداخلية الإسرائيلية فأعطونا موافقة ثم سحبوها بعد ساعة! فعدنا إلى الصفر، وجاء اليهود وأغلقوا الروضة واستدعونا للشرطة ليحاكمونا بسبب التبرعات. وكان أيامها اتفاق «كامب ديفيد» وكان الشيخ «محمد عواد» ضدنا! وكان يقول لليهود إننا لا ننفع لشيء! وقال اليهود إن المحاكم الشرعية العليا والأوقاف وغيرها أوصت بعدم منحكم التصريح! وكان الشيخ عواد مشبوهاً في تاريخه ولا يحب نصرة الإسلام.

فلجأنا لشيخ كان مع الإخوان قديمًا وكان موافقًا على كامب ديفيد! «هاشم الخازندار».. فقلت له انجدنا، فتدخل وذهب معه العضو «عمر عبد العال» إلى الداخلية. وكان الشيخ هاشم سليط اللسان وصار يصرخ هناك ويسب في الشيخ عواد وشكر في المؤسسة وأقنعهم

أن يعطونا التصريح. فوعدوا بذلك وأتانا بالتصريح بعد عودته من مصر.

واستمر المجمع الإسلامي في كل نشاطات الحياة مع الجمعية الإسلامية التي نشاطها كان رياضيًا. لكن ضيق علينا اليهود، أغلقوا العيادة وقيدوا جمع الزكاة ورفضوا إنشاء فرع في خان يونس ففتحته بالمواجهة رغم حصار الدبابات.

كنت أميناً للمجمع الإسلامي ولم أكن مسؤول حركة أو غيرها، ولم يكن هناك حركات إسلامية، فقط كانت زوايا دراويش وكنت أزورهم. وكان نشاط الأُسر سريًّا منذ **١٩٦٧** متواصلاً لم يتوقف وكان يتحسن وبدأ يشكل تياراً بعدعام **٨٠**.

حرب استجداء السلام!

كان الشعب متفائلاً ومتفاعلاً مع الحرب جداً، أن مصر تعافت في **٦** سنوات وضربت خط بارليف. لكن لما تراجع المصريون وتوقفت الحرب بعد الثغرة صارت ردة فعل وخيبة أمل. وكانت المقاومة في الداخل تكاد تكون شُلَّت في ذلك الوقت.

قلت عند أول طلقة تطلقها مصر (أدعو الله أن تكون حرب تحرير وليست حرباً لاستجداء السلام). فقال لي أخي الفتحاوي (ليش تفبرك الأمور؟) فقلت (أنا أقول «أدعو») وكانت كما قلت!

كانت نقلة نوعية في حد ذاتها أن الهزيمة لا تدوم، وأن الشعب ممكن يستعيد قوته ويحقق انتصاراته. وأنعشت الروح العربية، لكنها استغلت في اتجاه كسر الطوق حول إسرائيل، حتى إذا خرجت مصر من المعركة لا تكون هناك معركة لأن مصر هي الثقل العربي. وبدأ التراجع العربي والتوجه نحو إسرائيل.

كامب ديفيد

كان رد فعل شعبنا عليها غاضباً لأن المعركة والقضية انتهت بخروج مصرا! وجاءني رجال المنظمة وطرحوا موقفاً ضد الاتفاقية! وهاجت الأمة العربية ثم هدأت! وأعادت العلاقات مع مصر وبدأت الأمة كلها أيضاً في خط التراجع حتى معركة الخليج التي خرجت منها أميركا بطل العالم الأوحد وجرَّت العرب إلى مدريد وفلسطين إلى أوسلو، ومزقت الوحدة العربية والجدار العربي أمام إسرائيل لتستفرد بواحد واحد كيفما تريد.

بكل تأكيد كان هناك سيناريوهات أخرى ممكنة: كانت مصر في حاجة أن تُدعم مالياً باجتماع الأمة العربية لجعل مصر قوة عسكرية تواجه القوة الإسرائيلية وتتحمل الأمة تبعات المواجهة، لو دفعت الأمة ما عليها كان هذا الطريق أسلم وأصح لعلاج القضية الفلسطينية وليس الاستسلام بالشكل الذي صار. بينما أمريكا تدعم إسرائيل بالمليارات!

الملك فيصل كان يدعم مصر، وهو قُتل نتيجة لموقفه من فلسطين والقدس، وكان يقف مع عبدالناصر بكل الإمكانات.

الحلقة (٤)

الجامعة الإسلامية

بدأت نشاطها في **١٩٧٨**، لأن الأزهر في غزة كان تابعاً لمصر، وبعد **١٩٦٧** كان الشيخ عواد رئيس الأزهر في غزة قد اقترح عمل سنة تمهيدية في غزة، فيذهب الطالب إلى مصر مباشرة بدلاً من الانتظار للتوجيهي، وصارت الجامعة الإسلامية وصار رئيس الأزهر عميدًا للكلية. ثم طلب من اليهود التصريح سنة بعد سنة وصارت جامعة ويستقدم دكاترة من الضفة يعطون محاضرات، وأنشأوا مجلس أمناء من الأثرياء على رأسهم «أحمد حسن الشوا» و«الشنطي» ليدعموا الجامعة مادياً. وقيل إن تأسيسها كان بموافقة منظمة التحرير.

توريط

وصار الصراع في **١٩٨٠** بيننا وبين المنظمة، أججه الشيخ محمد عواد؛ لأن المنظمة طلبت منه ترك رئاسة المجلس لشخص مسيحي فأيدناه في مواجهة المنظمة. وهو كان قد اتفق معهم على الاستقالة فعلاً! وعقد اجتماع في الأزهر للاستقالة فهاج الشباب إلى الأزهر وانفض الاجتماع ولم يستقل الشيخ عوَّاد، لكن بعض الشباب الإسلامي المتحمس بتحريض من (فتح) خرج لمظاهرة في شوارع غزة ونزلت إلى الهلال الأحمر الفلسطيني (قلعة الشيوعيين) وحرقوه. وكانت (فتح) تريد إضعاف شوكة الجبهة الشعبية في غزة. وحرق الشباب خمارة أيضاً وكازينو على الشاطئ.

وأتاني أحد السواقين يحكي ما جرى! وهذه فضيحة! فقلت للسائق يبلغ قائد المظاهرة أن ينصرف ويترك الناس. فتفرق الناس! لكن الإسرائيليين أرادوا ذلك ليضربوا الشعب ببعضه. ووجهوا الاتهام إلينا كـ«مجمع إسلامي» أننا ضد الوحدة الإسلامية

وتوارت (فتح)! وكتبت الجرائد وأصدر الناس بيانات استنكارا! فرفضت أن أستنكر لأني لا علاقة لي به وعليهم إثبات مسؤوليتنا وهذا صراع داخلي بين فتح والجبهة وليس لنا دخل.

وعاقبنا من فعلوا ذلك! وقلنا لهم (أنتم هكذا عملاء.. لأن اليهود يتفرجون ولا يطخون عليكم إذن أنت عميل)!

وفي هذه المرحلة كان بيننا وبين فتح تحالف لدخول الهلال عن طريق الانتخابات لكن الجبهة فبركت الانتخابات وأسقطت التحالف. لكن الحدث سنة **١٩٨٠** عمومًا وضعنا على الساحة وصار لنا ثقل في التوازنات.

الصراع حول الجامعة الإسلامية

وجاء للجامعة رئيس هو «رياض الأغا» أخو أحد أعضاء مجلس الأمناء لم يُحسن إدارتها وكانت له علاقات مع اليهود وليس منضبطاً مالياً، وأردنا لها رئيساً جديدًا مؤهلًا إسلامياً هو د. «صقر»، فرفضت المنظمة وكان هذا في **١٩٨٢** وكنا نريد رئيساً إسلامياً ليحافظ عليها بهويتها ودون اختلاط بين الذكور والإناث. وكان قرار التمسك برياض من «أبو علي شاهين» القيادي الفتحاوي ورفضت مقابلته ولم أكن أتصور أن يصل بهم الأمر إلى الهجوم والقتل! وراحوا ألقوا قنبلة على بيت صقر الذي يسكن به ولم تصر إصابات ووجهوا رسائل تحذير بها رصاصات إلى قيادات إسلامية بالجامعة! واعتدوا بالضرب على قيادات! وقتلوا أحد دكاترة الجامعة من مناصري إسلامية الجامعة «سليمان الخطيب»، كان قد استدعاه «أبو علي شاهين» وحذرته قبل أن يذهب، وقابله لكن ظل في رأيهم أنه يدعم القوى الإسلامية، وفي صباح أحد الأيام أطلقوا النار عليه وكان هذا في **١٩٨٤** وكنت في السجن!

وقبل ذلك في يوم ذكرى اجتياح لبنان حيث أرادت الكتلة الإسلامية في بيرزيت

عمل مسيرة وكنا جهزنا أنفسنا أيضاً لمسيرة. لكنهم جمعوا شباباً وهجموا على الجامعة وصارت اشتباكات! حتى انفض المهاجمون وبقي د. صقر رئيساً للجامعة. لكن مسيرة بيرزيت انتُقم منها بالزجاجات الفارغة، بعد فشلهم في غزة! وكتبت الصحافة أن المجمع الإسلامي يبعث حافلات لمهاجمة القوى الوطنية وهذا كذب! هم الذين بعثوا حافلات! وقُضي الأمر أن تبقى الجامعة إسلامية وبقى المرشح الذي نريد. وعادوا إلى التفاهم.

وكانت أيضاً محاولات تصفية لقياداتنا وعلمت بورود اسم أحد قادتنا في قائمة تصفيات عملاء تابعة لفتح، فحذرت فتح وقلت (والله بتحرقوا بالبلد).

بداية العمل العسكري

وبدأنا التفكير في العمل العسكري سنة **١٩٨٠**.. وبدأنا بجمع السلاح والتدريب، وكان العملاء يشتغلون مع تجار السلاح والحشيش ووقع إخواننا وهم يشترون عبر هؤلاء العملاء، وكانت أول قطعة سلاح سنة **١٩٨٣**، وخزنا كميات حوالي **٨٠** قطعة بنادق وغيره، وكان التصور تجنيد حوالي **١٠٠** شاب، لكن انكشفت كل الكمية في ضربتين الأولى بسبب العملاء والثانية بسبب خلل في التكتيك العسكري؛ لأن عميلاً قُتل بمسدس (أطلق على نفسه النار بالخطأ بمسدسه الشخصي أثناء صراع الإخوة للقبض عليه) واستولى الإخوة على المسدس وخبأت الخلية المسدس عند من نخزن لديه الأسلحة، وتحت التعذيب اعترفت الخلية باسم الرجل، وهو تحت التعذيب اعترف بوجود السلاح.

والمال كان دعماً خارجياً من أصدقائنا وأحبابنا في الخارج.

مقومات بدء العمل العسكري

بعد طول ابتعاد عن العمل العسكري كانت رغبتي بدء المعركة من **١٩٦٧** فأجلت وصرنا نؤجل حتى جاء القرار في **١٩٨٢** ولم أكن وحدي، كانت لجنة مركزية. والذي تغير أن صارت عندي قاعدة من الرجال والشباب، ومن الخارج تعاطف مستعد يدعمني بمساعدات مالية، فإذا توفر المال والرجال انتهت المعركة. وبدأنا ندرّب عناصرنا، ونشتري السلاح من تجار يسرقون من المخازن الإسرائيلية، اليهودي تعطيه الحشيش يعطيك سلاحه.. كنا نرفض أن نعطيهم الحشيش لكن نعطيهم المال مقابل السلاح. وكنت أشرف وأتابع التدريب في الخارج والداخل وخضنا مرحلة تجربة علمتنا كيف ننطلق انطلاقة قوية.

الحفاظ على التنظيم

انكشف الخيط الأول وجر واحداً وراء واحد، فلما رأيت أن الوضع خطير قلت نقطع الطريق على اليهود وأقطع الطريق الذي يوصلهم إليّ، وكان اثنان د. «أحمد الملح» وآخر يعملان في العملية العسكرية فأمرتهما بالخروج لقطع الخيط، فخرج الملح إلى اليمن لكن الثاني لم يستطع الخروج وهو مطارد ثم عاد إلى بيته فوقع في أيديهم وبالتالي وصلوا إليّ وسجنوني. وكان العدد **١٠-١٥** فقط وهذه السلسلة التنظيمية التي تجلب السلاح لكن التنظيم ذاته والذين دُرّبوا أكثر من ذلك بكثير.

كان وضعنا الشعبي أقوى من فتح وغير فتح، لكنهم كانوا يتميزون بتجربتهم القتالية. وكانت لهم خلايا عسكرية لكن لا يشتغلون. ونحن كنا في بداية التحضير والإعداد. وكانت إسرائيل تريد ضربنا بطرفين فأعلنت إسرائيل أن السلاح من أجل ضرب المنظمة وصنعوا قائمة مفبركة بأسماء **٥٠** قيادياً من المنظمة، لكن عند المحاكمة كانت التهمة (إبادة دولة إسرائيل وإقامة دولة إسلامية مكانها).

وكانت الخلايا التي وراء د. أحمد موجودة، بينما الذين كُشفوا كانوا تحت الذي اعتُقل. والتعذيب ليس سهلاً. وهذا الانكشاف كله هو تجربة وليست مشكلة.

الخطوة الأولى: رصد وتصفية العملاء

بدأنا تصفية عملاء خطرين وليس عمليات ضد الاحتلال. وكانت العملية التي كشفنا بسبب المسدس الخاص بها كانت لعميل كبير في خانيونس اختطفناه وحققنا، والتحقيق يكون مسجلاً وينقل إلينا لننظر الحكم الذي يستحقه، لا أقتل بريئاً، وكنا نعذب العملاء بشكل بسيط مش كثير. وكان لدينا مستندات رسمية نواجه بها العميل.

أحد العملاء كُشف عن طريق تردد البنات على دكانه ويبقون في محلة نصف ساعة وساعة وهو مغلق لباب الدكان، فبدأ رصده. ووجدناه يسقط أخته وبنت عمه في العمالة وحكمنا عليه بالإعدام.

وآخر استقال من التعليم واشتغل مغني أفراح بالاتفاق مع مصورين أسقط **٧٠** امرأة عبر فبركة الصور أو تصوير الزنا. وهذا أسقط عروس ليلة زفافها!

والتصفية تكون في منطقة نائية ويُدفن، ولم يعنينا الإعلان بل التطهير.

كان جهاز الدعوة والأشبال والمراقبة والمعلومات واختراق الآخرين، كانت شبه دولة بشكل مصغّر وكنت على رأسه.

الحلقة (٥)

القبض عليّ للمرة الأولى في أبريل ١٩٨٤

جاءتني سيارة مخابرات على البيت، قالوا (الحاكم عايز يشوفك) وركبت معهم، ولم تكن المرة الأولى لاستدعائي للحاكم لكن كنت أذهب بسيارتي، حملوني وطلعوني للحاكم لأن الدرج عالي، قال نريد نسألك بعض الأسئلة سننقلك إلى سجن المجدل، فقلت (افعلوا ما بدا لكم). وكانت هذه أول مرة أجلس على كرسي متحرك وكنت قبل ذلك أمشي متكئاً على أخ، حققوا معي ثم ذهبت إلى مستشفى الرملة ثم عدت إلى غزة ومنها إلى سجن بئر السبع للعيادة ثم عدت إلى غزة.

في التحقيق وجدت الإخوة المعتقلين أعطوا اعترافات فيها الصحيح وفيها المفبرك لتخفيف الضربة، وأوحى لي الإخوة بخط معين أنه لا إمدادات مالية من الخارج فمشيت على هذا الخط وقلنا إنه شغل ذاتي، ونحن نعد حالنا لمقاومة إسرائيل ولم نشتغل، واعترفنا بأنا نريد أن نجاهد حتى لا يورطنا الإسرائيليون في أننا نريد الدفاع عن أنفسنا ضد إخواننا.

فكنت واضحاً أننا ضد دولة إسرائيل. وحكموا عليّ بالسجن **١٣** سنة، ونائبي «عبد الرحمن تمراز» **١٢** سنة، وآخر «محمد الشاب» طبيب صيدلي **١٠** سنوات، «عرب مهرة» **١٠** سنوات، «محمد سمارة» تاجر سلاح **٩** سنوات، د. «إبراهيم» **٨** سنوات، وآخرين سنتين و**٣** سنوات. وكانت الأحكام وقتها قاسية بالقياس على الأحكام التي تصدر على غيرنا لأن من يحوز السلاح وقتها كان يُحكم عليه بسنتين أو **٣** سنوات. وكان أول تنظيم إسلامي في أراضي الـ**٤٨** قبلنا في السبعينات، منهم «عبد الله الدرويش» و«رائد صلاح» و«دهامشة»، قُبض عليهم عليهم بعد عدة عمليات وأقصى حكم عليهم كان **٧** سنوات.

لم يحتاجوا أن يعذبوني لأني وجدت الخط مرسومًا واعترفت مباشرة، فقط كانت محاولات هزيمة نفسية فأحضروا لي صورة لي داخل بيتي! وكنت متأكداً أنه أحد المخابرات صورني عن طريق كاميرا مخفية في قداحة. وسألني عن جارة كنت أساعدها وزوجها فأراد أن يتهمني بالزنا بها! فضحكت في وجهة لأنها كانت «أم فرج» لها 41 طفلًا مكدسين في بيتها فكيف أختلي بها! فتراجع. وكانت هذه طريقتهم محاولة التوريط في فضائح للضغط حتى يشغلوا المعتقل معهم.

واستغرق التحقيق **٤٥** يومًا، وكنت في زنزانة متر ونصف في متر ومعي **٣-٤**، منهم أحد شباب المجموعة خاصتنا ليخدمني وآخرون ليتجسسوا علينا، وكانت زنزانة سيئة جداً في الصيف بلا نَفَس والمصباح الكهربي فوق رأسك يجعل رأسك يُشوى!

ولم يُتهم أحد قبلنا بتهمة (محاولة إسقاط دولة إسرائيل وإقامة دولة إسلامية).

وكان المحامي من شبابنا وكنت أرسلته للتدريب عند أستاذ شهير تبرع هو الآخر للدفاع عني، لكن الحكم يكون معدًّا مسبقاً.

ومن غزة نقلوني على سجن نفحة ليتخلصوا مني، وكانت حالتي الصحية سيئة وأشكو، ثم نقلوني إلى عسقلان وكان الجو هادئاً ودافئاً فارتحت، حتى أُفرج عني. وخرجت وزني زائدًا **١٠** كجم.

صفقة أحمد جبريل

وكان شباب كثيرون من تنظيمات غير إسلامية قد صاروا إسلاميين في السجن، ومنهم من صار رئيس الجماعة الإسلامية في السجن «حافظ الدلقموني» وكان قبل نائباً لأحمد جبريل، وهذا الأخ كان سبب إطلاق سراحنا في صفقة تبادل أحمد جبريل.

وخرج الأخ حافظ قبلي، وكانت الجبهة الشعبية اعتقلت الإسرائيليين في حرب لبنان وخرج ١٢٠٠ معتقل. نقلونا إلى عسقلان ولم يكن في فكري أنه سيُفرج عنّي! وفوجئت أنني ممن سيخرج ولم يكن في حسباني ولا كنا نعرف عن تفاصيل الصفقة! ثم نصحت الشباب المفرج عنهم ألا يخرجوا خارج فلسطين، وكان الإسرائيليون يشترطون التوقيع على مكان الخروج قبل الإفراج واليهود يسهلون لمن يريد الخروج حتى يتخلصوا منه.

وخرجت في صفقة الجبهة الشعبية رغم أن بعض أسراهم لم يخرج في الصفقة. وحدثت أخطاء حيث أخرج سجين جنائي تشابه اسمه مع أسير محكوم ١٨ عاما وأُفرج عن الجنائي وبقي الأسير! لكن كانت صفقة جيدة.

كنت مسرورًا بالخروج لكن سيّان طلعت أو بقيت، لأني مطمئن أن الله لن يضيعنا وسيأتي الفرج ونحن نشتغل بقدر الله. وكان يوم ١ رمضان ٢٠ مايو ١٩٨٥.

وكانت الحركة الإسلامية تسير بنفس نشاطها ونحن في السجن، ظن اليهود أننا بلا جذور ولا خلفيات فلم يتابعوا التحقيق من ورائنا، وغيابنا لم يؤثر على العمل. فعملنا عمل جماعي شوري وليس فرديًّا. وكانت القيادة من ٧ أشخاص وكنا اثنين مسجونين من القيادة الأولى، وكان المسؤول في غيابي «عبد الفتاح دخّان». وكانت كميات من السلاح قد بقيت واستمر الإعداد.

استئناف العمل

وبعد خروجي أخذت سنة إجازة من التنظيم حتى لا ألفت نظر اليهود للتنظيم، ثم عدت ولم أكن مسؤولًا عندما عدت بل جنديًّا. وعملت في الدعوة ومتابعة التنظيم في منطقتي وكنت رئيس «الجهاز العسكري» وكان متوقفاً في غيابي ثم عاد للعمل، وفي ١٩٨٥ قبل خروجي كان بيننا وبين فتح صراع صار دمويًّا، بعد أن ضربوا فتاة من

فتياتنا وجرحوها في وجهها، وأطلقوا في وجه أحد شبابنا مياه نار فأصابوه بالعمى! فرددنا على عناصر منهم.

وكان سبب صراعات الجامعة وفي خان يونس على النشاط، فبدلاً من حلها بالحوار حلوها بالعنف، وليس معقولاً أن نتحمل جرح طالبة وعمى طالب، فأخذنا قراراً بضرب عناصرهم التي لها يد في ذلك وردوا أيضاً وضربوا عناصر منا. ثم انتهت بتهدئة ومصالحة ضمنية.

وكان التنظيم الداخلي إخواناً مسلمين والظاهري حركة إسلامية، ولا علاقة لنا بمصر بل الإخوان المسلمين بالأردن.

«مجموعة ١٠١»

١٩٨٧/١١/١٧ كان قرار بدء العمل العسكري. وشكلنا «مجموعة **١٠١**» أول مجموعة عسكرية، وهاجمت مستوطنة ولم يحدث شيء، ثم مقاول يهودي مستوطن مسلح وكان مدرباً فهرب، واختطفنا الجندي الأول «سبورتاس» وأخذوا سلاحه وقتلوه ودفنوه. ثم اختطفوا آخر «إيلان سعدون» أيضا قتلوه ودفنوه وأخذوا سلاحه. وارتبك الإسرائيليون وقادوا مئات الجنود يفتشون ولا يجدون أحداً. ولم تكن هناك بيانات، كنت أحب العمل وأبقي العدو تائهًا.

لكن إحدى المجموعات اكتشفت بسبب خلل أمني، إذ ذهبوا بالسيارة التي نفذت بها العملية واكتشفت آثار السيارة وتابعوها ووجدوها ثم بدؤوا اعتقال الناس حولها، وهرب الشباب عن طريق سيناء لكن اعتُقل قائدهم «محمد الشراتحة». وكان للقائد سابقات مع اليهود في المقاومة، وعذبوه عذاباً شديدًا، كل يوم يوشك على الموت تحت التعذيب -الآن يقضي حكم المؤبد- ثم اعترف بأن من جنده تنظيم مجهول، واعترف على أخ له «صلاح شحادة»، لكن الأخ الآخر اعترف تحت التعذيب.

واعتقل رجال الأمن الذين صفوا العملاء -وكانت الضربتان متوازيتين ضد اليهود وضد العملاء-.

وكان ضرب العملاء يحدث ارتباكاً وخوفاً ويبدؤون في الانتشار ونحن نراقبهم ونكشفهم. كانت فتح والجبهة في ذلك الوقت يمارسان كشف العملاء والتحقيق معهم وتصفيتهم، لكن في السجون وليس في الخارج. وكانت قبل ذلك تصفيات العملاء في الشوارع دون ضوابط أو محاكمات. وكانت قواعدنا الشرعية أننا في حالة حرب مع عدو والعميل يقوم بإسقاط النساء والرجال بالزنا واللواط وتصويرهم وتجنيدهم للعدو، ولما حصل قتل بالخطأ دفعنا لأهله دية قبل ثبوت إدانته أو اعترافه.

الحلقة (٦)

الانتفاضة

كانت في بدايتها حادثاً عابراً، رجل إسرائيلي يركب مقطورة دهم سيارة متعمدًا ومات **٤** فلسطينيين طالبين العمل في إسرائيل، وأثناء دفنهم في جباليا تجمهر الناس في الجنازات، واتجهت الجنازة إلى المقبرة بين قرية جباليا ومعسكر جباليا للاجئين، واللاجئون دوماً في ثوران وغليان دائم، فخرج المعسكر لينضم لهم، ودفع الناس الحماس للتوجه إلى مركز الشرطة وهاجموه بالحجارة ورد الجنود بالرصاص فسقط شهيد والعديد من الجرحى نقلوا إلى مستشفى الشفاء في **١٩٨٧/١٢/٩** وكانت هذه الشرارة الأولى للانتفاضة.

في اليوم التالي الأربعاء انتقل الناس للتبرع بالدم للجرحى وكان على رأسهم طلاب الجامعة الإسلامية في غزة وكانوا دوماً رأس الحربة في مواجهة إسرائيل أثناء الحصار المتكرر للجامعة، وصار في المستشفى مولوتوف وقنابل وجرحى واشتباكات.. فقررت الحركة الإسلامية اجتماعاً طارئاً في المساء. فجاءنا خبر إغلاق السلطة الإسرائيلية للجامعة الإسلامية فقررنا ننقل المواجهة إلى الشوارع. فقال القيادات: من يستطيع البدء غداً الجمعة، فاتفقنا على مهلة يومين للإعداد ثم نبدأ المواجهة من الشوارع: المظاهرات والحجارة والمولتوف.

نامت جباليا لأنه ليس هناك تخطيط خلفها، ونقلنا المعركة إلى خان يونس وبدأت المسيرات من المساجد وبدأت الأناشيد الحماسية يوم **١٩٨٧/١٢/١٢**، ثم نقلناها بعد أيام إلى معسكر الشاطئ، ثم المعسكرات الوسطى، ثم الحارات، ثم رفح، ننقلها حسب استعداد المنطقة.

وقررنا إصدار البيان الأول في **١٩٨٧/١٢/١٤** وأمليته وطُبع ووُزع، وهذا أول بيان الانتفاضة الفلسطينية، وليس صحيحاً ما تقوله فتح إنها وراء الانتفاضة وأول بيان! بينما أول بيان لفتح والجبهة كان في **١٩٨٨/١/٨**. وقلت فيه: (وأنا الغريقُ فما خوفي من البَلَلِ؟) وكانت مجال نقاش طويل بين خبراء إسرائيليين على التليفزيون. وكان حصار **١٥** يومًا للمعسكر لكن كان شعبنا عظيماً يجمع الطعام من المناطق المفتوحة ويدخلها إلى المناطق المحاصرة في ساعات فتح الحصار القليلة.

الأحداث دوماً تحتاج من يقودها ويستثمرها ويستفيد منها. تجمع الشباب في المساجد وانطلقت الأناشيد فجاء الشباب وعملت جنازة وهمية وتجمع الناس ويحدث الصدام، وكل يوم هكذا..

وكان الناس في أشد السعادة لأنهم يواجهون العدو الذي ظلمهم وقهرهم وتحملوا ترك العمل ونقص الطعام وغيره. وكانت إسرائيل تحتاج العمال لكن الناس منعوا العمال وتضررت المصانع الإسرائيلية. الشعوب لها قدرة لا يفهمها أحد إلا إذا جربها ورآها.

بدأت أحداث غزة تُنقل على التلفزيونات في كل العالم، وهذا أوجد في الضفة الغربية الحماس والحرارة وكان لنا قيادة مشتركة بين الضفة وغزة وطالبناهم بالعمل فبدأ العمل. وعمت الانتفاضة كل مكان بعد شهر أو شهر ونصف، وكنا مشفقين على الشعب ونفكر نخفف الوتيرة، لكن العدو ساعدنا لأنه أصدر قراراً بعد شهر بإبعاد مجموعة من الشباب فأعطانا هذا دفعة جديدة وانتهت التهدئة، والسلطة لم تكن تعرف من الذي وراء الأحداث لكن يعرفون أنهم إسلاميون وعلى هذا اختارت من حماس والجهاد والسلفيين أبعدتهم من ضمن **٥** أو **٦** أبعدوا، كان الأخ «خليل القوقا» من حماس والشيخ «حسن أبو شقرا» من السلفيين و«عبد العزيز عودة» من الجهاد وواحد من فتح وواحد من الجبهة.

ولم يكن الإسرائيليون يدخلون المساجد ويتدخلون فيها قبل ذلك، لأن معاشات أئمة المساجد لا تساوي أكلة يأكلها فكان الخطيب لا يلتفت لهم.

ولادة «حماس» والتنافس مع فتح

وأول بيان وقعته بالأحرف: ح.م.س اختصارا لـ«حركة المقاومة الإسلامية»، ثم اجتمع الإخوة واهتدى أحدهم إلى كلمة حماس. فيوم **١٩٨٧/١٢/١٠** هو يوم ولادة حركة «حماس».

وكنا نجتمع كل يومين أو ثلاثة لمعالجة القضايا القائمة وتخطيط الأيام القادمة وعلاج الجرحى وغير ذلك. ولم يكن بيننا أي تنسيق مع بقية الفصائل ولم يكن لهم دور في الميدان في ذلك الوقت، ثم بدأوا يتجمعوا لأنهم وجدوا أنفسهم خارج اللعبة، ثم أصبح تنافس بين الحركتين لإثبات الوجود في الشارع الفلسطيني. واستمرت الإضرابات ومعها المواجهات بالتبعية. ولما بدأت المنظمة تقوم بإضرابات فوق إضراباتنا أصاب الناس الإرهاق! فاتفقت مع زكريا الأغا أن نتفق على أيام معينة للإضراب للتخفيف على الناس، ثم فوجئت أنهم لم يلتزموا بالاتفاق! فقللنا نحن أيامنا فصار الشارع الفلسطيني ينقم على تصرفاتهم لأنهم هكذا يقتلون الشعب دون عمل. نحن كان شغلنا فقط مواجهة اليهود بينما هم بدأوا التدخل في أن الشرطة لا تعمل وغلق الدكاكين! ويضغطون على الناس. فقلت اجعلوا الإضراب جزئياً مثلاً يفتح الدكان من الصباح ثم يغلق الساعة **١٢**. وفوجئت أيضاً أنهم أصدروا بيانات باسمهم فقط يطلبون من الناس ذلك دون ذكر دورنا فلم يهمني! المهم مصلحة الناس.

وأصبحت استراتيجيتنا أننا سنقاوم المحتل حتى يرحل عنا وعن أرضنا ونستعيد حريتنا وكرامتنا. وظهرت كزعيم للانتفاضة لكني كنت أنفي عن نفسي في الإعلام. وكانت إسرائيل تطالبني بوقف الانتفاضة ويهددونني بالترحيل وبكل الناس! استدعاني ضابط الشؤون العربية وقال (بدنا الانتفاضة تقف.. أنت توقفها.. ورقة واحدة منك

تنزلها توقفها) فقلت لا أقدر على هذا قال (اسمع أنا اليوم بدي الانتفاضة تقف ولما يأتي يوم الشجر والحجر باحط لك رقبتي وباقولك اذبح) [باسما] فقلت (لا شغل لي) فقال (بارميك جنوب لبنان بعربيتك هذه واطخك بكلاشن). ولقاء مع الوزير موردخاي كان يهددني بالمساجد. واعتقل القيادات التي معي في **١٩٨٨** واعترفوا عليّ أنني مؤسس وأنني القيادة، فتركت العمل لآخرين يقودون العمل.

الاعتقال لوأد حماس

وأنا لم أدَّعِ أنني أسست ولا عملت.. كلنا أسسنا مع بعضنا، لكنهم لما قُبض عليهم اعترفوا عليّ فلبسوني هذه الطاقية [باسماً]، وتحملت نتائج كل هذا من محاكمات وسجون. وهكذا أراد الله تعالى.

ولم يريدوا حبسي مدة قصيرة بل أرادوني لشيء أكبر، وحين قُتل جنود إسرائيليين فرحوا واعتقلوني بتلك التهمة.

وكانت القيادة: «إبراهيم اليازوري» و«محمد شمعة» وأنا من غزة و«عبد الفتاح دخان» من المعسكرات الوسطى و«عبد العزيز الرنتيسي» من خان يونس و«عيسى النشار» من رفح. وكان الاعتقال كالآتي: كانت أموال واردة من القدس لأحد الإخوة وصلت د. إبراهيم فوصَّلها للقيادة المالية فلما اعتُقل الأخ في القدس وتحت التعذيب اعترف فاعتقلوا د. إبراهيم وهكذا. وكانت تهمتهم (تأسيس حماس وإشعال المقاومة) ولم يكن للقضية علاقة بالتنظيم العسكري. فكانت القضية لها اتجاه سياسي. وحُكم عليهم بعدة سنوات في السجن قبل اعتقالي.

وكان العمل العسكري قد بدأ في جباليا وبيت حانون بعمل عبوات ناسفة لإصابة السيارات الإسرائيلية، ولم يعترف الإسرائيليون بقتلى لكن السيارات كانت كلها تُحرق حرقاً! وكان التفجير ببطاريات وأسلاك بدائيًا. وصارت تطورات بعد ذلك. وانكشف

هؤلاء ودخلوا السجن مع القيادة في يونيو **١٩٨٨** أو يوليو. وكنا نحتفل بالتفجيرات على عيد الأضحى [باسما]. وكانت **٥** تفجيرات.

وبعد اعتقالهم خططنا لإنشاء خلايا جديدة وكانت «الخلية **١٠١**» للقتل والاختطاف والدفن.

كيف نختار الرجال

كنا نختار العنصر قبل كل شيء يكون عنصراً مؤمناً، له تاريخه المشهود بالإيمان وحب الجهاد والتضحية، فاخترنا شخصاً معيناً صاحب تجربة هو «محمد شلاطة» واتصلنا به دون أن يعرفنا عبر نقطة ميتة وطلبنا يجند ناساً معه، نتركه يختار لكن نعرف الرجال ولو نعرف مخالفات عنهم نوقف عملية تجنيد الشخص، فليس من السهل الوصول إلى تسلسل خلايا حماس والقسام، لا يتعرفون بعضهم إلا في الواقع العملي الميداني والشعب يتعاون معنا في إخفاء وإيواء الناس والشاهد معيشة يحيى عياش مطارداً لسنوات. مرة أتاني أحد من كانوا معي في السجن في **١٩٨٥** فواسيته وأظهرت عدم معرفتي وبراءتي لكن كان الاتصال معه عن طريق الخلية. لكن انكشفت هذه الخلية كما أخبرت قبل ذلك واعترفوا أنهم يأخذون الأموال مني فتم اعتقالي.

القبض عليّ

كنت في بيتي وكان ممنوع التجول، وفي الساعة **٩** بدء منع التجول وجاءت كتيبة حوطت المنزل، ودخلت علي المخابرات وجلعوني ألبس وأخذوني على الكرسي وأخذوا ابني «عبدالحميد» معي، وبدأ السب والشتائم والبصق على الوجه والضرب على الوجه والدق على الراس بصينية وشد عروق الرقبة إلى أعلى والضرب في الصدر، وأتوا بالولد وأحاط به **٤** ألقوه على الأرض وصاروا يضربونه ويقولون (ارحم ابنك.. اعترف.. حماس انتهت)، فقلت (لا شيء عندي) فبعد ساعتين أحضروه مرة أخرى

وألقوه على الأرض وضربوه، فقام وأوقعهم على الأرض فأخرجوه.

ثم أتوا بإخوة القضية العسكرية وقالوا الاعترافات أن صلاح جاء وأخذ **٢٥٠٠** دينار، وجاء بقية الإخوة في خلية العملاء وقالوا أخذنا منك فتوى، وكانت ليلة **١٩٨٩/٥/١٨**، وهؤلاء الإخوة كانوا من العتاة لذلك لم تكن الاعترافات إلا تحت تعذيب شديد، وأقول من ينظر إليهم نظرة الخيانة فأقول لهم أنتم لم تجربوا هذا التعذي. كنا اخترنا «شلاطة» لقيادة الخلية لأنه اعتُقل وعُذب مرتين ولم يعترف بشيء، فكونه يضعف في هذا الموقف فهذا عذاب لا يستطيع الصمود أمامه. والإنسان يقول آخذ **١٠٠** سنة ولا أظل تحت هذا التعذيب.

الحلقة (٧)

التحقيق

استمر منع النوم، أجلسوني على الكرسي **٤** أيام ويتوالى عليك المحققون حتى فقدت وعيي ووقعت عن الكرسي. وأرادو معرفة طرقنا ونظامنا ومن يخلفني ولم أبح بشيء فقط أعطيهم ما يعرفونه.

وكانت اعترافات الخلية تقتصر على ما يخصهم كأفراد لكن لا يفتحون أبواباً جديدة على غيرهم، وجدت أن هناك اعترافين وثلاثة ضدي وكان يهمني أعترف على نفسي حتى لا أفتح خطوطاً جديدة على الحركة، وضعت الأمر في صورة أني أعطي فتاوى بمواجهة المحتل، وبعد **٤-٥** أيام من اعتقالي نزل البيان الثاني لحماس. وكانوا قد اعتقلوا **١٥٠٠** شاباً معي! لكن أراد الله أن يقول لهم حماس أكبر من مخططاتكم.

من يؤدي عملاً عسكرياً يجب ألا يرتكب أي أخطاء تؤدي لاكتشافه. لكن المشكلة أن الإخوة كانوا يشترون سيارات إسرائيلية مسروقة من تجار السيارات المسروقة -وعلى المقاوم أن يقيم علاقات بالسارقين وتجار السلاح والمخدرات وكل هؤلاء-، وكانت المشكلة أنهم لم يتخلصوا من السيارة وأرادوا أن يستخدموها ثانية. وهذا خلل في التفكير وليس في التكوين، بحيث لم يقدر بعد القضية التي هو فيها، وكل يوم نتعلم.

اتهمت بقتل الجنود لكنني أنكرت [باسما]، وقتل عملاء، وحوكمتُ على ذلك.

كان عندي **٧** محامين فلسطينيين من غزة، وكان رئيسهم من الداخل «عبد الملك دهامشة»، وكانوا يطرحون علي أن آخذ **١٠-١٥** سنة فكنت أضحك لأنهم لازم يعطوني مؤبد، وفعلاً صدر القرار مؤبد و**١٥** سنة متداخلة وكانوا أزالوا تهمة القتل من

النيابة لكن القاضي أصرّ!

حياة السجن

وأنا دوماً أثق في الناس الذين معي، لم أكن على اتصال بحماس منذ بدء محاكمتي لكن دومًا إذا في ملاحظات أرسلها، مثل فترة قتل عملاء كثير استأت وأرسلت لوقف ذلك حرصاً على الحياة البشرية، وكان هناك تعذيب للعملاء في السجون فأرسلت أرفضه. وكنا نسمي العمل العسكري «المجاهدون الفلسطينيون» والذي جاؤوا بعدنا أسموه «كتائب عز الدين القسّام» **٩٠–٩١**.

كان السجن رغم ضيقه وظلماته وسوء التغذية وسوء العلاج إلا أن المؤمن يجد في السجن متعة؛ حيث يتفرغ لتقوية علاقته بالله بالعبادة والقرآن، وأكملت حفظ القرآن في السجنة الثانية ولم أكن حفظته كله، اطلعت على التفاسير وأصول الفقة واللغة العربية ودراسات الفقة الإسلامي، كانت فترة دراسة وعلم، عبادة ومعنويات روحية عالية جداً لا تتصورها. كنت أقرأ **٤** أجزاء في اليوم في صلاة السنن فقط! كانت أعلى حياتي المعنوية في ذلك الوقت.

كان الإسرائيليون يضيقون عليّ من حيث الاطلاع الخارجي والصحافة، لكن يهمهم ألا أموت ولو بكل الأمراض، ولو حسوا أني وصلت لمرحلة خطر على الحياة تنقلب الدنيا، يعرفون إني إذا مت في السجن أؤثر عليهم في الشارع وسيجدون ردة فعل في الشارع من المقاومة ضدهم. ونقلت إلى المستشفى طوال **٩٦–٩٧** ومعي اثنان مرافقان.

وطوال فترة السجن كان اليهود يأتون لي باثنين مرافقين، لكن صرنا بعد ذلك نحن نختار المرافقين فكانوا دوماً من شباب الحركة.

وكان يسمح لأهلي عيالي وبناتي ويمنعون الذكور، الأول يسمحون لأخوتي وبعض الأقارب، وفي الآخر صارت زوجتي وحدها، وزيارات صعبة أحيانا **٦** شهور دون زيارة، وسمعي ضعيف فكانوا يحضرون لي شرطي يُسمعني ما تقوله زوجتي! وفي آخر يوم قلت لها لا تعودي أبدًا. وفقد السمع بسبب التهاب قديم تركوه بلا عناية. وكانوا يرفضون أن يزورني الأطباء من غزة لكن من الداخل ويكتبون تقارير ولا يُهتم بها.

اشتغلت في **١٩٥٨/١٠/٤** وسافرت مصر للعلاج أكثر من مرة، وتزوجت في **١٩٦١**، وتزوجت من فضل الله، ومات أول اثنين أولادي وبقي اليوم **١١**، **٨** بنات و**٣** أولاد.

لم أكن أرشح أهلي للاتصال ولم يكن بناتي في مستوى يسمح بهذا العمل، لكن كنت أستخدم السجناء وكانت لنا نقاط ميتة في دورات المياه نستقبل ونبعث رسائل إلى كل السجون. والسجين يحمل رسائل وهو خارج من السجن في كبسولة يبلعها ولما يصل سجنة ينزلها ويغسلها ويوصلها.

كنت أتابع كل ما يحدث الخارج عبر الراديو والتليفزيون لكن ينغصون علينا في الجرائد، يأتي لك بها بعد **١٥** يوم تكون أخبارها باتت! وهي تحمل من أخبار الوطن والأهل أكثر ما يكون في التليفزيون، يصادرون الورق وما تكتبه وما تحتفظ به من مقالات. ويوم رجعنا من التريُّض وجدنا الغرفة مقلوبة فعملت إضرابًا عن الطعام وقلت اللي يفتش يضع الأشياء في مكانها، ثم التزموا. ولما حدث اغتيال «فتحي الشقاقي» أضربنا عن الطعام.

وكنا نضرب عن الزيارة أيضًا. وهذه الإضرابات تؤثر عليهم لأن مدير السجن يريد أن يظهر كرجل ناجح والإضرابات تظهره فاشلا فيُستبدل. والمواجهات كثيرة تصل للضرب والتكسير.

وكانت لقاءات في الإعلام الإسرائيلي: كنت أقول أرفض قتل المدنيين لكن أنتم

تجبروننا على ذلك بقتلكم للمدنيين. ومرة سألوني عن نفسيتي بسبب تفجير قرب سجن كفاريونا وكنت أسمعه بأذني فقلت (كنت حزينًا) فقالوا كيف؟ فقلت (لأن سفك الدماء لم ينته بعد) [باسما] وطلبوا مني نداءات لوقف العمليات فرفضت! وقلت (وقفوا أنتم ونحن نوقف).

جاءني الإسرائيليون في اختطاف توليدانو الذي على إثره تم إبعاد الـ**٤١٥**، فأخذوا التليفزيون والراديو فأضربت عن الطعام. فجاءني ضباط وطلبوا أن أوجه كلمة قلت (مستعد) وقلت: (لهم مطالب.. نفذوا مطالبهم) [ضاحكاً]. ولم أكن أعرف أنهم يطالبون بالإفراج عني. وكانت المرة الأولى في **١٩٩٢**.

ومرة أخيرة بعد السلطة في سنة **١٩٩٤** أو **٩٥**، اختطف الشباب جندياً وضعوه في بيت في «بير نبالة» وإسرائيل في اضطراب، لكن للأسف عمل الشباب تسجيلاً وأرسلوه لغزة كي يُنشر، وبدأت إسرائيل تفاوض وممكن تطلق سراحي، وقالت إسرائيل أنهم مستعدون لكن أطلقوا الجندي، السلطة الفلسطينية اكتشفت الشريط وعرفت من أحضره من القدس! فاعتقلوه! وعُذب واعترف تحت التعذيب على مكان الجندي! وناورت إسرائيل بأن الإفراج يتم فعلاً لكن حاصروا الشباب، وكان الإسرائيليون يفكرون في اصطحابي لأقنع الشباب بتسليمه لكن خافوا والشباب قتلوا الجندي وقتلوا ضابطاً واستشهدوا الاثنين. لا أحد منا يسلم نفسه.. نحن نقاتل حتى الشهادة.

وباص في رام الله، ثلاثة شباب: اثنان منهم ماتوا والأخير كانت حالته صعبة فتركوه لكنه الآن الشهيد الحي وتزوج وأنجب.

ليس صحيحاً أني اعترفت في أحد اللقاءات بإسرائيل لكنها كانت دبلجة إسرائيلية من المخرج. ولو كنت اعترفت لخرجت ثاني يوم.

الحلقة (٨)

أوسلو

كنت أرى أن مؤتمر مدريد لن يصل إلى شيء وأنه مظاهرة إعلامية المقصود به امتصاص الشعور الفلسطيني والعربي وأن إسرائيل غير جادة لعمل أي حلول وهذا ما صرح به شامير فيما بعد. لكن أمريكا كانت تريد إنهاء الانتفاضة وبدأت الخطوط السرية تشتغل حتى وصلوا لاتفاق أوسلو اتفاق منفرد. وانفردت إسرائيل بكل واحد على جهة لتحقق مصالحها. مزق هذا الاتفاق وحدة الشعب الفلسطيني وصار تعاون أمني بين اليهود والسلطة ضد من يريد أن يعمل ضد إسرائيل وخاصة حماس! وكان موجوداً لكنه أعلن في الفترات الأخيرة.

رفضنا أوسلو لكن لم نعترض السلطة فلا نريد إشعال حرباً أهلية، لكن بدأنا ننزل مظاهرات عند تعاملهم بشكل غير جيد مع الشعب الفلسطيني، وكانت مذبحة مسجد فلسطين التي صار فيها **٣١** شهيدًا. والحركة الإسلامية لها دور شعبي وخدمات ولا تسمح لهم بالقيام بدورهم في القضاء على الحركة الإسلامية خدمة لليهود.

فهذا الاتفاق فتت وحدة الشعب الفلسطيني وقضى على المواجهات اليومية حيث دخل اليهود المستوطنات. وهو اتفاق مسخ ليس هناك فلسطيني مقتنع أن هذا الطريق يعمل دولة أو سلام أو غيره. وتأثرت حماس بالتنسيق الأمني بينهم وبين اليهود وهذا ضيّق الطريق على الكتائب والمجموعات المقاتلة، فأصبحت تواجه من الخلف والأمام في آن واحد. كانت تتحرك وكل شعبها وراءها الآن نصف شعبها يشتغل مع السلطة.

الإفراج

كان المحامي يريد عمل عريضة طلب إفراج ويوقع عليها **٤٠** عضواً في الكنسيت، فرفضت وقلت (إذا لم أطلع غصباً عن اليهود فلن أخرج)، ثم طلبني اليهود وقالوا أمامي فرصة حلوة أروح على البيت موافق؟ قلت موافق. فأخبروني أن الملك حسين اتفق مع ناتنياهو أن أخرج على الأردن، فقلت موافق أخرج لكن لا أذهب على الأردن! منذ الآن تكتبوا لي ورقاً أنني أذهب الأردن زائرًا لكن أعود إلى غزة ولم أكن أعرف بصفقة التبادل. وتواصلوا مع جهاتهم العليا **٣** ساعات. ثم رضخوا وكل ما كتبوا إقراراً لا يعجبني قلت لهم يغيروه حتى كتبوا ما أريد ووقعوا عليه، ثم طلبت المرافقين الذين معي يخرجون معي أو لن أخرج! وكانت أحكامهم **٨،١٢** سنة فرفضوا فقلت لن أخرج!

ثم قلت أفرجوا عن شخص واحد فوافقوا على الذي حكمه **٨** سنوات وكان قد قضى **٥** سنوات. وخرجت إلى المطار ورفضت أغادر حتى أتوني بالإقرار غير موقع فرفضت حتى وقعها قائد المنطقة الجنوبية! ومن المطار إلى الأردن وطلع لي الملك في الطائرة سلم عليّ، ونزلت إلى مدينة الحسين الطبية وجاء الملك فسلم عليّ ثانية وأنا على السرير. وكانت هذه خامس أو سادس محاولة إفراج لكن لم تتم إلا هذه.

كان عرفات في مصر فأبلغوه فجاء سلم علي في الأردن بصحبة الملك حسين. وعدت إلى غزة بعد ثمان سنوات ونصف.

غزة حماس

وجدت معالم غزة متغيرة لكن لم أتوقع كل هذا الحماس لشعبنا، الشوارع ممتلئة بالناس، وملعب اليرموك مزدحم وقفت أنظر إلى المنظر فأبكاني المشهد.. لم أكن أتصور كل هذه العواطف لإنسان مثلي لا أعد نفسي إلا شيئاً بسيطاً! وعدت إلى البيت فلم يسع البيت الوفود فخرجت إلى ملعب قعدت به شهراً والوفود تأتي من كل مكان!

لما دخلت السجن كنت بشكل سري لكن لما دخلته انكشف كل شيء وأني وراء الانتفاضة والعمليات وغيره، ثم مصداقية حماس في الشارع وجهادها وصبرها وموقفها على الفقراء والتعليم أدى إلى هذا.. وهذا من فضل الله ممكن نزرع وما يطلع الزرع وممكن نزرع وربنا ينمِّي. وكانت حماس في وضع صعب اعتقلت السلطة حوالي **١٠٠٠** من القيادات في **١٩٩٦** وتهدد الأفراد في نشاطاتهم، وصار لها انتعاش بعد خروجي. وأنا دومًا في عمل يأتيني الفقير والمطلقة وأبو السجين بيتي مفتوح لكل الناس على كل مستوياتهم.

في السجون: كانت فتح مسيطرة وتتعامل بشكل غير طبيعي معنا، لكن بعد خروج أفواج منهم وصارت غالب السجون ممتلئة بحماس تحسنت العلاقة، والأهم أن نبقى في السجون صفاً واحداً في وجه المحتل.

الضغط الذي يأتي من أهلك غير الضغط الذي يأتيك من العدو، ولما يصير قسم من أهلك عليك بيكون الضغط غير طبيعي وهذا صعب على النفس. وعلى حماس أن تتحمل وتصبر.. هذا طريق الجهاد والذي يريده عليه أن يتحمل.. استشهاد قتل تعذيب إلى آخرة.. طريقنا واخترناه باختيارنا.

ممكن في كل وقت نتفاهم مع السلطة ونعرف الخطوط العامة ويعذر بعضنا بعض فيما اختلفنا عليه ولا يعدوننا في خندق معادٍ.

نظرتنا للسلطة

البيت الواحد منقسم والأجهزة الأمنية بها **٣٥٠٠٠** وهذا لا يخيفنا؛ لأن النفعي لا يصلح في المواجهة والنائحة الثكلى ليست كالمستأجرة، وهؤلاء الـ **٣٥٠٠٠** كثير منهم معنا، وهذا العدد الكبير ليس وحدة واحدة بل يتناحرون فيما بينهم، وهم أيضاً ينقمون على التمييز بينهم بالدرجات والمعاشات. وهذا كم غير متجانس لا ينطلق

من فهم عقيدي واحد ولا يفهم إلا المصلحة لذلك لا نخاف منه.

الفساد كبير في مناطق السلطة وأصبحت (فلل) بالملايين وعشش إلى جوارها، وهذه ظاهرة سيئة كل شعبنا يرفضها وناقم عليها، لكن ليس في يده إمكانية يغيرها أو يقاومها. لكن هذا جعل مصداقية السلطة غير واقعية عند الناس وقلص التأييد لها وآخر احتفال لانطلاقة حركة فتح **١٩٩٨/١/١** لم يأت إليه إلا بضع مئات من الطلاب والشباب الصغير وكان أبو عمار يريد المجيء لكن اتصل به المشرفون فقالوا لا تأت الاحتفال فاشل!

وهذا الوضع ممكن يؤدي إلى انتفاضة داخلية ضد السلطة لأن الطريق إذا أغلق يصير الإنسان مستعداً للمواجهة. وأنا نصحت السلطة الفلسطينية بألا يقسو على الشعب ولا يجعلوه ينفر منهم ولا تقسو على الضفة الغربية لأن لها تطلعات أخرى فتخسروا الساحة (الخيار الأردني وغيره) ونصحتهم بإخلاص. ولو ضاق الناس من إسرائيل ومن السلطة الوطنية يتجهون للأردن وحينها لن ترفض الأردن أن يكون لها مجال أوسع!

نريد أن تصل قضيتنا إلى نتيجة حاسمة ونريد الوحدة مع كل الدول العربية لكن بعد قضيتنا.

أتصور أن «محمود عباس» و«أحمد قريع» مطروحين لخلافة ياسر عرفات لكن «الرجوب» و«دحلان» كلام غير معقول! في رأيي اللي يخلفه من سيكون أكثر طواعية في يد إسرائيل والمراهنة تمشي بأن يكون محمود عباس؛ لأنه منسق أوسلو وهو المحادثات وغيرها! وأستبعد رؤساء الأجهزة الأمنية لأنهم ليس لهم شعبية.

تصوري عن مستقبل السلطة أن مصيرها واحد أن تنقرض إذا ظلت واقفة في موقفها وأوسلو طريق مسدود فتنتهي، أو تعود إلى خندق الجهاد وتتوحد

ونواجه العدو.

استراتيجية السلطة للقضاء على حماس، هي ما تريده أمريكا وإسرائيل، وفي صفوف السلطة عملاء، لكن ستجد من عناصرهم من يأتيك ويخبرك بما يُرتب لك.

خففنا حجم الحركة لأننا لا نريد مواجهة مع السلطة، لكن كتائبنا الصالحة للميدان تزيد ولا يهمني العدد والحجم المهم الصالح للميدان.

زوال إسرائيل

خيارنا هو الجهاد إلا إذا وافقت إسرائيل على هدنة نطرحها نحن فيمكن أن نعمل هدنة.

إسرائيل قامت على الظلم والاغتصاب، وكل كيان كهذا مصيره الدمار حتى لو يملك القوة، لأن القوة في العالم لا تدوم لأحد. إسرائيل بائدة في الربع الأول من القرن القادم وبالتحديد في **٢٠٢٧** إسرائيل تكون غير موجودة.. والقرآن حدثنا أن الأجيال تتغير كل **٤٠** سنة، في الأربعين الأولى كان عندنا نكبة، في الثانية كانت عندنا انتفاضة وتحدي وقنابل، والثالثة تكون النهاية إن شاء الله تعالى. وهذا استشفاف قرآني. فرض الله على بني إسرائيل **٤٠** عامًا ليغير الجيل. الجيل القادم هو جيل التحرير إن شاء الله تعالى.

طريقنا صعب ومحتاج تضحيات وصبر لكنه قادم لا محالة، إن الله لا يخلف وعده أبدًا.

اليأس لا مكان له عند قادة المركب أما الشارع فأينما أرسلته يذهب (مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ)! وهو الواقع الآن. لكن إرادة الله غالبة

وستأتي الساعة التي ينهار هذا الكيان في لمح البصر لأن الفساد لا يدوم في الأرض (وَاللهُ غَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).

أملي

بعد **٦٢** عاماً من العمل والجهاد، بداية حياتي كانت فترة مأساة تمتطي قبلة العالم الإسلامي، أن يتغلب عدو إسرائيلي من **٥** ملايين على الأمة الإسلامية ذات المليار! لكن الوضع بدأ يتغير.. والشعب الفلسطيني بدأ بتحرك لكن حتى يأتي يوم النصر والتحرير يحتاج قوة أكبر. وسيسجل التاريخ للأمة تاريخاً ناصعاً بياضاً يوم تجتمع كل القوى الإسلامية للوصول إلى الهدف المنشود إن شاء الله. إنها انتفاضة للأمة العربية والإسلامية تجدد التاريخ إن شاء الله.

عشت حياتي أملي واحد أن يرضى الله عني، ورضاه لا يكتسب إلا بطاعته، وطاعته تتمثل في الجهاد من أجل إقامة عدل الله في الأرض وتطهيرها من الفساد في الأرض، فإذا نجحت في تطهير الأرض وإقامة العدل الإسلامي: فإن تحققت في حياتي فذلك فضله وإن مت قبله فهذا قدري (وَاللَّهُ غَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).

(انتهى)



هدية العدد ٣١ من مجلة كَلِمَةُ حَقّ ، فبراير ٢٠٢٠